ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: <http://arid.my/j/aijssh>

مَجَلَّةُ أُرِيدُ الدَّوْلِيَّةُ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ

المجلد الثالث، العدد الخامس، كانون الثاني 2021 م

The fulfillment of the Rahman's promises The study of objective through Surat Al-Qasas

Mona Al Namary

تحقق وعود الرحمن
دراسة موضوعية من خلال سورة القصص

منى بنت علي بن معتوق التمر
قسم الشريعة - جامعة الطائف - المملكة العربية السعودية

mona.z@tu.edu.sa
arid.my/0004-0245
<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2021.3511>

ARTICLE INFO

: *Article history*

Received 13/06/2020

Received in revised form 15/07/2020

Accepted 16/08/2020

Available online 15/01/2021

<https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2021.3511>

ABSTRACT

The research aims to enhance the certainty of the fulfillment of the Rahman's promises, looking at the problems and obstacles facing the Islamic Ummah with optimism, and ensuring the introduction of the strengths of strength, and emphasizing that the consequence of the righteous, through showing the fulfillment of the Rahman's promises in Surat Al-Qasas, where he repeatedly mentioned in the surah mentioning Rahman's promises, and showing how These promises were fulfilled, in a way that attracts the reader's attention, and draws them for reflection and reflection, so I resolved to meditate, study, and extract their potentials, according to the method of objective interpretation, which is for the sake of types of interpretation, where the splendor of the Qur'anic manifestation appears, and brings us out of the treasures of the Holy Book, the most beautiful pearls and benefits.

Keywords : fulfillment, Rahman's, promises.

الملخص

يهدف البحث إلى تعزيز اليقين بتحقيق وعود الرحمن، والنظر للمشكلات والعقبات التي تواجه الأمة الإسلامية بتفأول، والحرص على الأخذ بمقومات القوة، والتأكيد على أن العقبة للمتقين، من خلال عرض تحقق وعود الرحمن في سورة القصص، حيث تكرر في السورة ذكر وعود الرحمن، وبيان كيفية تحقق هذه الوعود، بشكل يلفت انتباه القارئ، ويشده للتدبر والتفكير، فعزمت على تأملها، ودراستها، واستخراج مكنوناتها، على طريقة التفسير الموضوعي، الذي يعد من أجل أنواع التفسير، حيث يظهر روعة البيان القرآني، ويخرج لنا من مكنوزات الكتاب العزيز، أجمل الدرر والفوائد.

■ تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، والاستعانة بالتفسير الإجمالي والتحليلي، في تفسير السورة، والربط بينها وبين موضوع البحث، مع الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة في تفسير الآيات.

مفتاحية البحث: تحقق، وعود، الرحمن، التمكين، أهل الإيمان.

الحمد لله المؤمن، المصدق لعباده المؤمنين وعده على الدوام، وعد عباده بالنصر والتمكين، والعزة والرفعة والفوز المبين، (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) سورة النور: 55. فأنجز لهم وعده، ويمكن لهم في الأرض، وأبدلهم بعد الترح فرحًا، وبعد العسر يسرًا.

ومن تأمل كلام الله، ونظر في آياته البينات، وجده مليء بذكر تحقق وعود الرحمن لعباده المؤمنين، ومن السور العظيمة التي تناولت هذا الموضوع سورة القصص، فجاءت بالآيات البينات، والدلائل الواضحات، على تحقق وعد الرحمن لأهل الإيمان، بشكل يلفت انتباه القارئ، ويشده للتدبر والتفكير، فعزمت على تأملها، ودراستها، واستخراج مكنوناتها، لألقي الضوء من خلالها على هذا الموضوع: تحقق وعود الرحمن بالنصر والتمكين لأهل الإيمان، على طريقة التفسير الموضوعي، الذي يعد من أجل أنواع التفسير، الذي يظهر روعة البيان القرآني، ويخرج لنا من مكنوزات الكتاب العزيز، أجمل الدرر والفوائد.

❖ مشكلة البحث.

يهدف البحث إلى تعزيز اليقين بتحقيق وعود الرحمن، والنظر للمشكلات والعقبات التي تواجه الأمة الإسلامية بتفأول، والحرص على الأخذ بمقومات القوة، والتأكيد على أن العقابة للمتقين، من خلال عرض تحقق وعود الرحمن في سورة القصص، وبيان كيفية تحقق هذه الوعود، حيث تكرر في السورة ذكر وعود الرحمن، بشكل يلفت انتباه القارئ، ويشده للتدبر والتفكير، وتناول البحث الحديث عن وعود الرحمن في فصلين:

الفصل الأول: قصة موسى مع فرعون، وأحداث ومقدمات قبل تحقق الوعود.

الفصل الثاني: تحقق وعود الرحمن لأهل الإيمان.

❖ أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

تتجلى أهمية الموضوع وأسباب اختياره فيما يأتي:

1. يعدُّ هذا الموضوع من المواضيع المهمة للأمة، لتصل إلى اليقين بوعد الرحمن في زمن تكالب الأعداء عليها وأصابها اليأس.
2. معرفة أسباب تحقق وعد الرحمن للأخذ بها، وتطبيقها في الواقع.
3. الرغبة في المساهمة في العناية بالقرآن الكريم، وجعله منهج حياة بتدبره والعمل به.

4. تعرضت سورة القصص لأحداث عديدة من خلال قصة موسى-عليه السلام- مليئة بالعبر والفوائد التي ينبغي الوقوف عندها.

❖ الدراسات السابقة.

من خلال البحث في هذا الموضوع لم أجد كتابةً خاصّةً بموضوع تحقق وعود الرحمن بالنصر والتمكين لأهل الإيمان، إلا أنّ قضايا هذا الموضوع مطروحة في كتب التفسير، وهناك دراسات تناولت سورة القصص بالبحث والدراسة منها:

1. أصول العقيدة في ضوء سورة القصص، تأليف: علي بن عبده رديش دغيري؛ عبدالعزيز بن عبد الله الراجحي - رقم الوثيقة: 180169.
2. سورة القصص دراسة تحليلية، تأليف الدكتور: محمد مطني.
3. بلاغة الفاصلة القرآنية في سورة القصص: دراسة بلاغية تحليلية، تأليف: الشيماء بنت محمد الفهود.
4. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، تأليف: نخبة من العلماء بإشراف أ.د. مصطفى مسلم، دار النشر: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، الطبعة الأولى (1431هـ - 2010م).

❖ منهج البحث.

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك وفق الخطوات التالية:

- الاستعانة بالتفسير الإجمالي والتحليلي، في تفسير السورة، والربط بينها وبين موضوع البحث.
- جمع الآيات القرآنية التي تبحث في موضوع البحث، أو تشير إلى جانب من جوانبه.
- دراسة تفسير هذه الآيات دراسة وافية بالرجوع إلى كتب التفسير التحليلي، والتعرف على أسباب نزولها إن وجدت، وإلى دلالات الألفاظ واستعمالاتها، والروابط بين الألفاظ في الجملة وبين الآية وبين الآيات في المجموعة التي نتحدث عن الموضوع.

❖ خطة البحث.

يتكوّن هذا البحث من مقدّمة وفصلين وخاتمة، ثمّ فهرس عامّة، وذلك على النحو الآتي:

- ❖ المقدّمة، وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.
- ❖ الفصل الأول: قصة موسى مع فرعون، وأحداث ومقدمات قبل تحقق الوعود:

- **المبحث الأول:** وصف الحالة الاجتماعية والسياسية في مصر قبل ولادة موسى – عليه السلام.
- **المبحث الثاني:** البشارة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأتمته بالنصر المبين من خلال قصة موسى-عليه السلام.
- **المبحث الثالث:** طغيان فرعون وتجبره في أرض مصر واستعباده لبني إسرائيل.
- **المبحث الرابع:** ولادة موسى-عليه السلام-، وحفظ الله له في المهدي، ونشأته، ومقتل القبطي.
- **المبحث الخامس:** رحلة موسى-عليه السلام- إلى مدين.
- **المبحث السادس:** عودة موسى-عليه السلام- لمصر، وإرساله إلى فرعون، وموقف فرعون من الرسالة.
- **المبحث السابع:** طغيان المال في قصة قارون، وإهلاك الله-سبحانه وتعالى- له.

❖ الفصل الثاني: تحقق وعود الرحمن لأهل الإيمان:

- **المبحث الأول:** تحقق وعد الله لأُم موسى-عليه السلام-.
- **المبحث الثاني:** تحقق وعد الله لموسى-عليه السلام- بشد عضده بأخيه وغلبة فرعون وقومه وهلاكهم.
- **المبحث الثالث:** تحقق وعد الله – سبحانه وتعالى- لبني إسرائيل والتمكين لهم.
- **المبحث الرابع:** تحقق وعد الله لنبيه-صلى الله عليه وسلم- بالعودة إلى مكة.
- **الخاتمة:** وفيها أهم نتائج البحث.

الفصل الأول:

قصة موسى مع فرعون، وأحداث ومقدمات قبل تحقق الوعود:

تمهيد: بين يدي سورة القصص.

نزلت سورة القصص، والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان، قد أوقعوا بالمسلمين صنوف الأذى والطغيان، حتى اضطروهم إلى الهجرة من أحب البقاع إليهم، فخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مكة مهاجرًا إلى المدينة، يتقطع قلبه على فراق موطنه، فنزل عليه جبريل وهو بالجحفة متوجهًا من مكة إلى المدينة، فقال: أتشتاق يا محمد إلى بلدك التي ولدت بها، فقال: نعم، فقال: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) سورة القصص:85. فأنزل الله هذه السورة، تسلياً لنبيه -صلى الله عليه وسلم-، ووعدًا له بالنصر والتمكين، نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجردًا من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله

عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلاً ومن ثم يقوم كيان السورة على قصة موسى وفرعون في البدء، وقصة قارون مع قومه- قوم موسى- في الختام، الأولى تعرض قوة الحكم والسلطان، قوة فرعون الطاغية المتجبر اليقظ الحذر، وفي مواجهتها موسى طفلاً رضيعاً لا حول له ولا قوة، والثانية: قوة المال، في قصة قارون مع قومه، وكيف كانت نهايته، حيث خسف الله به وبداره الأرض، فلم يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً.

❖ المبحث الأول: وصف الحالة الاجتماعية والسياسية في مصر قبل ولادة موسى – عليه السلام.

كانت الحال في مصر يغلب عليها النظام الطبقي، فالمجتمع فيها متفاوت، يفرق بينهم التمييز العنصري، فنجد فيهم الطبقة الراقية الغنية، والطبقة الكادحة طبقة العبيد والمستخدمين، فكان للأقباط المكانة والجاه والسلطان والسيادة، وكل من دُونهم فهم خدم أذلاء مهجورون تحت سيطرتهم، فإن الله – تعالى- لما قبض يوسف-عليه السلام- وهلك الملك الذي كان معه، وتوارثت الفراعنة ملك مصر، ونشر الله بني إسرائيل، الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، وكانوا إذ ذاك خيار أهل الأرض، فلم يزل بنو إسرائيل تحت يد الفراعنة، حتى كان فرعون موسى، وكان أعتاهم على الله، وأعظمهم قولاً وأطولهم عمراً، واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب، وكان سيئ الملكة على بني إسرائيل يعذبهم ويجعلهم خولاً، ويسومهم سوء العذاب، وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر الفاجر، يستعبدهم ويستخدمهم في أخس الصنائع والحرف وأردأها وأدناها. [1]، ومع هذا (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) سورة القصص:4.

❖ المبحث الثاني: البشارة للنبي-صلى الله عليه وسلم- وأمه بالنصر المبين من خلال قصة موسى – عليه السلام.

قال الله تعالى: (طَسَمَ ١ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِأَحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)، سورة القصص:1-3.

في مطلع السورة توجه الخطاب من الله - سبحانه وتعالى -، للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأمه، في مرحلة من أشد المراحل التي مرت بهم، حين كانوا أمة مستضعفة، لاقت من قريش صنوف الأذى والتكذيب، فأنزلت هذه الآيات العظيمة، مسلية لهم عما أصابهم ومبشرة لهم بالنصر والتمكين، بيّن فيها سبحانه وتعالى بأنه سيقص عليهم في هذا القرآن من خبر: (مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِأَحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) سورة القصص:3. أي: لقوم يصتقون بهذا الكتاب، ، ويعلمون أن من عاداك مصيره كمصير من عادى موسى -عليه السلام-، نتلو عليك من نبئهم، فقطمئن نفوسكم، بأن سننثا فيمن خالفك وعاداك من

المشركين هي سنتنا فيمن عادى موسى -عليه السلام-، وسنتنا فيمن آمن بك، كسنتنا فيمن آمن به من بني إسرائيل، أن نهلكهم كما أهلكناهم، وننجيكهم منهم كما أنجيناهم. [2]

المبحث الثالث: طغيان فرعون وتجبره في أرض مصر واستعباده لبني إسرائيل.

قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ٤ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهُنَّ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ٦) سورة القصص: 4-6.

بدأ المولى -سبحانه وتعالى- قصة موسى -عليه السلام- بتصوير الحالة التي كانت في مصر، قبل مولد موسى -عليه السلام-، من جبروت فرعون وعلوه في الأرض، فقال سبحانه: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا) أي: استكبر وتجبر وتعظم، في الأرض، والمراد بها أرض مصر، وليس المراد بالعلو: الصعود، وإنما يراد به العلو الذي هو الاستكبار والعتو. [3]

ثم قال: (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا): أي: فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه، لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه، أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته، أو أصنافاً في استخدامه يسخر صنفاً في بناء، وصنفاً في حرث، وصنفاً في حفر، ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية، أو فرقاً مختلفة قد أغرى بينهم العداوة، وهم بنو إسرائيل والقبط، (يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ) أراد بالطائفة بني إسرائيل، ثم فسر الاستضعاف فقال: (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ)، فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح، فلا يكبر الصغير. وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت، فأسرع فيهم، فدخل رؤوس القبط على فرعون، فكلموه، فقالوا: إن هؤلاء قد وقع فيهم الموت، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا! بذبح أبنائهم، فلا تبلغ الصغار وتنفى الكبار فلو أنك كنت تبقي من أولادهم، فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة. فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد هارون، فترك؛ فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت بموسى. [4]

وسمى هذا استضعافاً؛ لأنهم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)، ثم أتى بالبشارة والوعد لبني إسرائيل فقال: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ) يعني بني إسرائيل، (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي: قادة في الخير يقتدى بهم، وقال قتادة: ولاية ملوكا، دليله قوله -عز وجل-: (وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا) سورة المائدة: 20. وقال مجاهد: دعاة إلى الخير، (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم، (وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أي: نوطن لهم في أرض مصر والشام، ونجعلها لهم مكانا يستقرون فيه، (مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) الحذر: هو التوقي من الضرر، وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منه، فأراهم الله ما كانوا يحذرون. [5]

فيا أيها الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه واتساع سلطانه، قد حكم العظيم الذي لا يغالب، ولا يخالف أقداره، أن هذا المولود الذي تحتريز منه، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى، لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك، ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك، وأنت الذي تتبناه وتربيته، ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه؛ لمخالفتك ما جاءك به من الحق المبين، لتعلم أنت وسائر الخلق، أن رب السموات والأرض، هو الفعال لما يريد، وأنه هو القوي الشديد، ذو البأس العظيم والحوّل والقوة والمشينة التي لا مرد لها. [6]

❖ المبحث الرابع: ولادة موسى – عليه السلام-، وحفظ الله له في المهد، ونشأته، ومقتل القبطي.

قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٧ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمُنَ وَجُنُودُهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ ٨ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠ وَقَالَتِ لَأُخْتِي فُصِيحَةٌ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَخْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ ١٢ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٣). سورة القصص: 7-13.

هذه بداية قصة موسى مع فرعون وهو طفل رضيع، إلى نهاية هلاك فرعون، في ظرف طويل بلغ عشرات السنين، فها هي أمه حبلى به، حبلى في هذه الفترة العصيبة، فرعون يتربص بمواليد بني إسرائيل شر تربص، بل والأشد من ذلك أنه يولد في السنة التي يقتل فيها فرعون ذكران بني إسرائيل، فلما حملت أم موسى -عليه السلام- به، عليه السلام، لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها، ولم تظن لها الدايات، ولكن لما وضعته ذكراً ضاقت به ذرعاً، وخافت عليه خوفاً شديداً وأحبته حباً زائداً، وكان موسى -عليه السلام-، لا يراه أحد إلا أحبه، فالسعيد من أحبه طبعاً وشرعاً. [6] ، قال تعالى: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي) سورة طه: 39.

لقد ولد موسى -عليه السلام- في ظل تلك الأوضاع القاسية التي رسمها القرآن قبل البدء في القصة ولد والخطر محقق به، والموت يتلفت عليه، والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه، وها هي أمه حائرة به، خائفة عليه، تخشى أن يصل نبأه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين، ها هي بطفلها الصغير في قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجب صوته الفطري أن ينم عليه، عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة، هنا يأتي لطف الله ورحمته - سبحانه وتعالى، بهذه الأم الوجلة القلقة المذعورة، ويلقى في روعها كيف تعمل، ويوحى إليها بالتصرف [1]:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَبِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ) القصص:7.

اختلف في هذا الوحي إلى أم موسى، فقالت فرقة: كان قولاً في منامها، وقال قتادة: كان إلهاماً وقالت فرقة: كان بملك يمثل لها، قال مقاتل أتاها جبريل بذلك، فعلى هذا هو وحي إعلام لا إلهام وأجمع الكل على أنها لم تكن نبيية، وإنما إرسال الملك إليها على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور⁽¹⁾. [7]

إلهام رباني عظيم، وتدبير إلهي، وتحول لمسار الأحداث، يُسيّره القوي المتين، وأحداث عجيبة، تبدأ من وحي الله إلى أم موسى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ) أي: أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولى التي لا بدّ منها، (فَبِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ) أي: إذا خفت عليه أن يذبحه فرعون؛ لأنّه كان يذبح أبناء بني إسرائيل، لما أخبره الكهان أنّ هلاكه على يد غلام منهم. [8]

أو إذا خفت عليه أن يظن به جيرانك ويسمعون صوته عند البكاء، (فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ) أي: بعد أن تجعله في تابوت، أي صندوق، ثم تلقيه في اليم، والمقصود به: نهر النيل (وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي) إنه هنا في رعاية الله - سبحانه وتعالى - الذي لا أمن إلا في جواره، الذي جعل النار برداً وسلاماً، وجعل البحر ملجأً ومناً، والخوف غم يحصل بسبب مكروه يتوقع حصوله في المستقبل، والحزن غم يلحقه بسبب مكروه حصل في الماضي، فكأنه قيل: ولا تخافي من هلاكه ولا تحزني بسبب فراقه (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ)، لا خوف على حياته ولا حزن على بعده، (وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)، وتلك بشارة الغد، ووعد الله أصدق القائلين، فإننا رادوه إليك لتكوني أنت المرضعة له وجاعلوه من المرسلين إلى أهل مصر والشام. [9]

(فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ) الالتقاط: هو اللقاء من غير قصد وطلب، وقد روي أن آسية امرأة فرعون رأت التابوت في البحر، وهو النيل فأمرت أن يساق لها، ففتحت فوجدت فيه صبيّاً فأحبته، وقالت لفرعون: هذا قرّة عين لي ولك. [10]

(لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا) قال محمد بن إسحاق وغيره: "اللام" هنا لام العاقبة، لا لام التعليل؛ لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك، ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه، ولكن إذا نظر إلى معنى السياق فإنه تبقى اللام للتعليل؛ لأن معناه أن الله - تعالى - قبضهم لالتقاطه ليجعله لهم عدواً وحزناً، فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه. [6]؛ ولهذا قال: (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَمَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ).

(1) الحديث أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (4/171)، ح(3464)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، (4/2275)، ح(2964).

وتتوالى مشاهد القصة، فهي امرأة فرعون، تتوسل إليه وترجوه، أن لا يقتل موسى فقد أخذ حبه من قلبها كل مأخذ، خاصة أنها قد حرمت من الولد، فرأت في موسى -عليه السلام- عوضاً عما فاتها من الولد، وانظر إلى السياق القرآني، وهو يصف لنا هذا المشهد:

قال تعالى: (وَقَالَتْ امْرِأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) سورة القصص:9.

هاهو فرعون ينتابه الخوف والقلق عندما رأى موسى - عليه السلام -، فهمم بقتله خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل، وهنا جعلت امرأته آسية بنت مزاحم حاج عنه وتذبذبه، وتحببه إلى فرعون، فقالت: (قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ) فقال: أما لك فنعيم، وأما لي فلا، فكان كذلك، وهداها الله به، وأهلكه الله على يديه، (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ).

ولننقل الصورة إلى الطرف الآخر من القصة، إنها أم موسى، التي قد بلغ بها القلق منتهاه، (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرْعَانًا) تصوير قرآني بديع للشدة العظيمة التي تمر بها أم موسى، التي استسلمت لأمر الله بإلقاء رضيعها في اليم، وضربت لنا أروع الأمثلة في الاستسلام لله واليقين بوعد الله، لكن الطبيعة البشرية، وفطرة حب الأم لابنها جعلت قلبها فارغاً: صفرأ من العقل؛ لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون، وفرغ من كل شيء إلا من ذكر رضيعها موسى - عليه السلام -، فلم تعد تفكر في شيء إلا فيه، حتى كادت أن تظهر أمره، كما قال الله (إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أي: إن كادت لتقول: يا بنيّاه، وتعلن أمره من شدة وجدها. [11]

(لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا) أي: لولا أن عصمناها من ذلك، بالعصمة والصبر والتنبيه بالسكوت عنه؛ لتكون من المؤمنين، المصدقين بوعد الله حين قال لها: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ).

وأخذت أم موسى بالأسباب (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ)، طمعا منها في التعرف بحاله، أي؛ اتبعي أثره وتتبعي خبره، فهرعت أخته مريم تبحث عنه، (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ) أي: أبصرته عن بعد، وقيل: عن جنب أي: عن شوق، (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بتطلبها له ولا بإبصارها، وروي أنها خرجت في سكك المدينة مختفية، فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يتطلبون له امرأة ترضعه، حين لم يقبل المراضع. [10]

توالى لطف الله وعنايته بموسى وأمه، وبدأت طلائع تحقق وعد الله لأم موسى، قال تعالى: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ) القصص:12.

(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ)، والتحریم هنا بمعنى المنع، أي: منعناه أن يرضع ثدي امرأة، (مِنْ قَبْلُ): أي: من أول أمره، وقيل: من قبل قصّها أثره وإتيانه على من هو عنده، (فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ) أي: أرشدكم إلى أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؛ لكونهم فيهم شفقة ورحمة لمن يكفلونه وحسن تربية. [12]

(فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) القصص:13.

وهنا تحقق الوعد الأول لأم موسى، ورد الله عليها ابنها، وقرت به عينا.

ولما أنجز تعالى وعده لأم موسى، بردّ ابنها لها، ثبت عندها أنه سيكون نبياً رسولاً، (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)، لا يعلمون أن وعد الله حق، فهم مرتابون فيه، أو لا يعلمون أن الردّ إنما كان؛ لعلمها بصدق وعد الله – سبحانه وتعالى-.

نشأة موسى – عليه السلام –، ومقتل القبطي.

قال تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) القصص:14.

بدأ موسى - عليه السلام - حياته ونشأته في قصر فرعون، فتربى فيه تربية أبناء الملوك، (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) من القوة والعقل واللب، وذلك نحو أربعين سنة في الغالب، (وَاسْتَوَى) أي: كملت فيه تلك الأمور، (آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) أي: حكما يعرف به الأحكام الشرعية، ويحكم به بين الناس، فأتاه الفقه، والعقل، والعلم في الدين، فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيا، (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) في عبادة الله، المحسنين لخلق الله، نعطيهم علما وحكما بحسب إحسانهم، ودل هذا على كمال إحسان موسى - عليه السلام - . [13]

مقتل القبطي على يد موسى عليه السلام.

(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّ فَاسْتَغَاةَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ١٧ فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ١٨ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يُمُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتُ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ١٩ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يُمُوسَىٰ إِنَّ الْأَمْلَاءَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنَّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٢١) سورة القصص:15-21.

لما عرف موسى - عليه السلام - ما هو عليه من الحق في دينه، عاب ما عليه قوم فرعون؛ وفشا ذلك منه فأخافوه فخافهم، فكان لا يدخل مدينة فرعون إلا خائفاً مستخفياً. [4]

دخل موسى - عليه السلام - المدينة في وقت الهجرة، وتفرق الناس، فوجد فيها رجلين يتخاصمان: أحدهما إسرائيلي من شبيعة موسى - عليه السلام - وعلى دينه، والآخر قبطي مخالف لهما، فاستغاث الإسرائيلي بموسى - عليه السلام - على القبطي، فوكزه موسى - عليه السلام -؛ ليدفعه عن الإسرائيلي، فمات الرجل بذلك الوكز، ولم يكن موسى يقصد قتله، فقال موسى - عليه السلام -: (هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) أي: أن هذا القتل من تسبب الشيطان لي؛ بأن هيّج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي. [14]

(قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ) سورة القصص: 16-17.

يقول الله تعالى- ذكره مخبراً عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها، وتوبته إليه منه ومسألته غفرانه من ذلك (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها، فاعف عن ذنبي ذلك، واستره عليّ، ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه. [4]

وهكذا، إذا أراد الله أمراً أجرى أسباباً ليحصل بها مراده، ولولا أنه أراد فتنة موسى لما قبض روح الرجل بمثل تلك الوكزة، فقد يضرب الرجل الكثير من الضرب والسياط ثم لا يموت فموت القبطي بوكزة إجراء لما قضاه وأراد. [14]

(فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ١٨ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يُمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ١٩ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يُمُوسَى إِنَّ أَلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّصِيحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الظَّالِمِينَ ٢١) سورة القصص: 18-21.

بعد مقتل القبطي أصبح موسى - عليه السلام - في المدينة خائفاً يتربص مما قد يحل به بعد هذه الحادثة، يتربص ويتلفت ويتوقع ما يكون من هذا الأمر فمر في بعض الطرق، فإذا ذلك الذي استنصره بالأمس على ذلك القبطي يقاتل آخر، فلما مر عليه موسى - عليه السلام - استصرخه على الآخر، فقال له موسى - عليه السلام -: (إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ) أي: ظاهر الغواية كثير الشر، ثم عزم موسى - عليه السلام - على البطش بذلك القبطي، فاعتقد الإسرائيلي؛ لخوره وضعفه وذلته، أن موسى - عليه السلام - إنما يريد قصده، لما سمعه يقول ذلك، فقال يدافع عن نفسه: (يُمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ)،

فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه، ثم ذهب بها إلى باب فرعون وألقاها عنده، فعلم فرعون بذلك، فاشتد حنقه، وعزم على قتل موسى، فطلبوه فبعثوا وراءه؛ ليحضروه لذلك. [6]

وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يُمُوسَىٰ إِنَّ الْأَمْلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١)

وقيض الله ذلك الرجل الناصح، وبادرهم إلى إخبار موسى -عليه السلام- بما اجتمع عليه رأي ملئهم، فقال: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ) أي: ركضاً على قدميه من نصحه لموسى -عليه السلام-، وخوفه أن يوقعوا به، قبل أن يشعر، فـ(قَالَ يُمُوسَىٰ إِنَّ الْأَمْلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ) أي: يتشاورون فيك، (لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) فامتثل نصحه، (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) أن يوقع به القتل، ودعا الله -سبحانه وتعالى-، و(قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فإنه قد تاب من ذنبه، وفعله غضباً، من غير قصد منه للقتل. [13]

❖ المبحث السادس: رحلة موسى -عليه السلام- إلى مدين.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ٢٢ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخَ كَبِيرَ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤. سورة القصص: 22-24.

(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) خرج موسى - عليه السلام - فاراً بنفسه منفرداً خائفاً، لا شيء معه من زاد ولا راحلة ولا حذاء نحو مدين، فلما رأى حاله وعدم معرفته بالطريق، وخلوه من زاد وغيره، أسند أمره إلى الله -تعالى- بقوله: (عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) وهذه حالة المضطر، هكذا خرج موسى -عليه السلام-، خرج خائفاً يتربص، لا يدري أي وجه يسلك، مهاجراً من وطنه، تاركاً أمه وذويه، هارباً من بطش فرعون وقومه، خرج وقلبه منطرح بين يدي خالقه: أن يهديه سواء السبيل، إنه قلب المؤمن الموحد الواثق من ربه، المتوكل عليه، الذي يعلم علم اليقين أن لا جابر لكسره ولا مفرج لكربه، ولا لأم لشعته إلا الواحد القهار. [7]

(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخَ كَبِيرَ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤) سورة القصص: 23-24.

(وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) أي: لما وصل إلى مدين وورد ماءها، وكان لها بئر يردده رعاء الشاء، (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ) جماعة كثيرة مختلفين، يَسْقُونَ مواشيهم، (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ) في مكان أسفل من مكانهم، (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تمنعان أغنامهما

عن الماء؛ لئلا تختلط بأغنامهم، (قَالَ مَا خَطْبُكُمْ أَي: ما شأنكما تذودان، (قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ أَي: تصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال، وحذف المفعول؛ لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهم، فبالرغم من اضطرارهما للخروج والسقي؛ لكنهما كانتا حريصتين تمام الحرص على الابتعاد عن الرجال، وعدم مزاحمتهم، وهنا تضرب المرأة أروع المثل في حفاظها على نفسها وصيانتها، حتى خلد الله - سبحانه وتعالى - ذكرهما بآيات تتلى في كتابه، لتبقى نبراساً تهتدي به المرأة المسلمة، ثم وضحت المرأتان، سبب خروجهما من خدرهما فقالا: (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) (كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطراراً، فهب موسى - عليه السلام -؛ لنجدتهما، وثارت مروءته لمساعدتهما، (فَسَقَى لَهُمَا) مواشيهم رحمة بهما، قيل: كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر، فأقله وحده ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم، وقيل: كانت بئراً أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها. [11]

(ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) لأي شيء أنزلت إلي من خيرٍ قليل أو كثير، وحمله الأكثر على الطعام، (فَقِيرٌ) محتاج سائل، ولذلك عدي باللام، وقيل معناه: إني لما أنزلت إلي من خير الدين، صرت فقيراً في الدنيا؛ لأنه كان في سعة عند فرعون، والغرض منه إظهار التبجح والشكر على ذلك، فانظر إلى هذين النبيين موسى وشعيب - عليهما الصلاة والسلام -، وهما خلاصة ذلك الزمان؛ ليكون لك في ذلك أسوة، وتجعلهما إماماً وقُدوة، وفي القصة ترغيب في الخير، وحث على المعاونة على البر، وبعث على بذل المعروف مع الجهد. [15]

(فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ) القصص: 25.

بينما كنا نتأمل حال موسى - عليه السلام - وافتناره لربه، هاهو الفرج يأتي سريعاً، وتبدأ مخاوف موسى - عليه السلام - بالتجلي، وتبدأ منن الله - سبحانه وتعالى - تتوالى على موسى - عليه السلام -، فبعد أن رجعت المرأتان إلى أبيهما، رجعتا سريعاً قبل الناس، وأغنامهما حفل بطن، فتعجب والدهما شعيب - عليه السلام - وقال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحماً فسقى لنا أغنامنا، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي، (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)، جاءت يعلوها الحياء والخجل. [16] قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "ليست بسلف من النساء، خراجه ولاجة، ولكن جاءت مستتررة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء" (2)، هذه هي المرأة العفيفة، وهكذا يرسم لنا القرآن المنهج الفريد في تعامل المرأة مع الرجل، تعامل يغلفه الحياء والحشمة، فالمرأة المسلمة تتباعد عن الرجال، لاتزاحمهم ولا تخالطهم، وإن اضطرت

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، ما ذكر في موسى عليه السلام من الفضل، (6/ 332)، قال ابن كثير: إسناده صحيح، تفسير ابن كثير، (6/ 205).

للتعامل معهم لقضاء حاجاتها، كان تعامل يسوده الستر والحياة، تسير شامخة بحجابها، حافظة لنفسها كجوهره مصونة لا يستطيع أحد الوصول إليها.

وانظر إلى طريقة تلك المرأة في الخطاب: (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا)، أي: لا ليمنن عليك، بل أنت الذي ابتدأتنا بالإحسان، وإنما قصده أن يكافئك على إحسانك، وهذا تأدب في العبارة، فإنها لم تطلبه طلبا مطلقا؛ لئلا يوهم ربيبة، بل قالت: إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا، يعني ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنما، (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ)، أي قص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط، وذكر له ما كان من أمره من ولادته، ثم إلقائه في اليم ونجاته، ثم تربيته في بيت فرعون ونشأته، إلى مقتل القبطي والسبب الذي خرج من أجله من بلده، فلما انتهى من قص خبره على شعيب -عليه السلام- رد عليه مطمئنا ومبشرا له بزوال همه: (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فطب نفسا وقر عينا، فقد خرجت من مملكتهم، فلا حكم لهم في بلادنا، ولا تسلط لهم علينا، فأنت هنا في ملاذ آمن قد أنجاك الله منهم. [6]

❖ استقرار موسى -عليه السلام- بمدينة:

قال تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ 26 قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنِي حِجَجٌ فَبَإِذْنِ عَشْرٍ فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ 27 قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ 28) سورة القصص: 26-28.

انتقل السياق من ضيافة شعيب لموسى -عليهما السلام-، إلى عرض إحدى المرأتين على أبيها أن يستأجره للعمل في ماشيته، إذ لم يكن لهم ببيتهم رجل يقوم بذلك، وقد كبر أبوهما، فلما رأت أمانته وورعه، رأت أنه خير من يستأجر للعمل عندهم؛ لقوته على العمل وأمانته. [17]

وهنا سألها أبوها فقال: يا بنية ما علمك بأمانته وقوته؟ قالت: أما قوته: فرفعه الحجر، ولا يطيقه إلا عشرة رجال، وأما أمانته: فقد قال امشي خلفي، وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي جسدك، فزاده ذلك رغبة فيه، فقال: (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمْنِي حِجَجٌ فَبَإِذْنِ عَشْرٍ فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)، أي: في حسن الصحبة والوفاء بما قلت. [18] ، قال موسى - عليه السلام -: (ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)، فزوجه، وأقام معه يكفيه ويعمل في رعيته غنمه، وما يحتاج إليه، وزوجه ابنته. [19]

❖ المبحث السابع: عودة موسى- عليه السلام - لمصر، وإرساله إلى فرعون، وموقف فرعون من الرسالة.

قال تعالى: (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) سورة القصص:29.

هكذا أوفى موسى- عليه السلام - بوعده لشعيب- عليه السلام -، فمكث عنده المدة التي اتفقا عليها، (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ) يعني: أتمه وفرغ منه، وسار بأهله، قال مجاهد: لما قضى الأجل مكث بعد ذلك عند صهره عشرًا أخرى، فأقام عنده عشرين سنة، ثم استأذنه في العود إلى مصر فأذن له، فخرج بأهله إلى جانب مصر، (ءَانَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا) أي: أبصر نارا، وكان في البرية في ليلة مظلمة شاتية شديدة البرد، وأخذ امرأته الطلق، (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ) يعني: عن الطريق؛ لأنه كان قد أخطأ الطريق، (أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ) يعني: قطعة وشعلة من النار (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تستدفنون. [5]

❖ نداء رباني لموسى -عليه السلام -، وبلاغاً له بالرسالة:

قال تعالى: (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يُمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يُمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ٣١ أَسَلْتَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذُنُوبُكَ بِزْهَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) سورة القصص:30-32.

حينما توجه موسى -عليه السلام- لتقاء مصدر النار، حدث أمر عجيب، لقد ساقه الله -سبحانه وتعالى- إلى هذا المكان لحكمة عظيمة، (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ) أي: من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى: (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) فهذا مما يرشد إلى أن موسى -عليه السلام-، قصد النار إلى جهة القبلة، والجبل الغربي عن يمينه، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي، فوقف باهتاً في أمرها، فناداه ربه: (مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يُمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ناداه في البقعة المباركة له، وجعلها الله مباركة؛ لأن الله كلم موسى -عليه السلام- هناك وبعثه نبياً، وناداه بنداء عظيم (إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين، الفعال لما يشاء، لا إله غيره، ولا رب سواه، تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته، وأقواله وأفعاله سبحانه، فما أعظمه من نداء، وما أجمله من خطاب. [5,6]

بعد هذا النداء العظيم أمره الله - عز وجل- فقال: (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها موسى-عليه السلام-فصارت حية تسعى، فلما رآها - تتحرك وتضطرب، وكأنها جان، وهي نوع معروف من أنواع الحيات، وهي منها عظام، ولَّى موسى هارباً منها ولم يرجع، قد أخذ منه الخوف كل مبلغ، وهنا أتاه النداء: (يُمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ). [4]

ثم أمره بأمر آخر فقال: (اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)، (اسْلُكْ) أي؛ أدخل يدك في جيبك، (تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أي برص، فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس، (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) أي: إذا هالك أمر يدك وما ترى من شعاعها فأدخلها في جيبك تعد إلى حالتها الأولى، والجنح اليد كلها. وقيل: هو العضد، وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما- : أمره أن يضم صدره فيذهب عنه ماناله من الخوف عند معاينة الحيّة، وقال: مامن خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. [5،20]

(فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ) فذانك: يعني العصا واليد، حُجَّتَانِ مِنَ اللَّهِ -تعالى- لموسى-عليه السلام- على صدقه، (إِلَى فِرْعَوْنَ) أي: أرسلنا بهاتين الآيتين إلى فرعون. قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ٣٣ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ٣٤ قَالَ سَنُنْذِرُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ) سورة القصص: 33-35.

هكذا بلغ الله موسى-عليه السلام- برسالته، وأيده بالمعجزات البينات على صدقه، لكن موسى-عليه السلام- تذكر جبروت فرعون وبطشه، وتذكر أيضا أنه قتل منهم نفسا، فخاف أن يقتله فرعون وملؤه فدعا الله - عز وجل- أن يجعل له أخاه هارون معينا ومساندا، (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) إذا لم يكن لي وزير ولا معين؛ لأنهم لا يكادون يفقهون عني، فاستجاب الله - عز وجل- دعاءه وقال له: (سَنُنْذِرُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ) أي: نقويك به، (وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا) أي: حجة وبرهاناً، (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) بالأذى، (بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ). [7]

❖ المبحث الثامن: تبليغ موسى-عليه السلام- رسالته إلى فرعون، وموقف فرعون من الرسالة:

قال تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قُلُوبُهُمْ هَذَا إِلَّا سِحْرَ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ٣٦ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) القصص: 37.

يخبر -سبحانه وتعالى- عن مجيء موسى -عليه السلام- وأخيه هارون إلى فرعون وملئه، وعرضهما ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله -عز وجل- من توحيده واتباع أوامره، فلما عاين فرعون وملؤه ذلك

وشاهدوه وتحققوه، وأيقنوا أنه من عند الله - سبحانه-، عدلوا بكفرهم وبغيهم إلى العناد والمباهة، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق، فقالوا: (مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّقْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)، أي: مفتعل مصنوع، وأرادوا معارضته بالحيلة والجاه، ثم قالوا: (وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ) يعنون عبادة الله وحده لا شريك له، فقال موسى - عليه السلام- مجيباً لهم: (رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِي وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عِقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ). [6]

❖ طغيان فرعون وتعالیه على رب العزة.

قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهُمَّنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) سورة القصص: 38.

لقد تمادى فرعون في طغيانه وتجبره، حتى ادعى الألوهية، وقال لأشراف قومه وسادتهم: (يَأْيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي) فتعبدوه، وتصدقوا قول موسى-عليه السلام- فيما جاءكم به من أن لكم وله رباً غيري، ومعبوداً سواي، (فَأَوْقِدْ لِي يَهُمَّنْ عَلَى الطِّينِ)؛ ليجعل له لبناً من فخار، (فَأَجْعَلْ لِّي صَرْحًا) أي: بناءً، (لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)، ولكن سنحقق هذا الظن، ونريكم كذب موسى- عليه السلام-، فانظر إلى هذه الجراءة العظيمة على الله- سبحانه وتعالى، التي ما بلغها آدمي، حيث كذب موسى-عليه السلام-، وادّعى أنه إله، ونفى أن يكون له علم بالإله الحق، وفعل الأسباب؛ ليتوصل إلى إله موسى-عليه السلام-، وكل هذا ترويح، ولكن العجب من هؤلاء الملأ الذين يزعمون أنهم كبار المملكة، المدبرون لشؤونها، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم، واستخف أحلامهم، وهذا لفسقهم الذي صار صفة راسخة فيهم، ففسد دينهم، ثم تبع ذلك فساد عقولهم، فنسألك اللهم الثبات على الإيمان، وأن لا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وتهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. [4،13]

• نهاية فرعون، وهلاك الظالمين:

قال تعالى: (وَأَسْتَكْبِرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ٣٩ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) سورة القصص: 39-40.

استمر فرعون في طغيانه وتجبره، (وَأَسْتَكْبِرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ)، وظنَّ هو وقومه أنهم لن يرجعوا، ولن يحاسبوا، وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون، ولا ثواب، ولا عقاب، فركبوا أهواءهم، ولم يعلموا أن الله- سبحانه- لهم بالمرصاد، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة، ولكن الله يمهل ولا يهمل، ومهما طال صولة الطغيان، فلا بد للحق أن ينتصر، (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) سورة إبراهيم: 42. لقد تحقق وعد الله لرسوله، وأهلك فرعون وقومه بالغرق في الدنيا (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ)، والخسران والنار والثبور في الآخرة، (وَحَاقَ

بِأَلٍ فِرْعَوْنَ سَوْءَ الْعَذَابِ ۝ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (سورة غافر: 45-46).

ثم قال تعالى: (فَإِنظِرْ كَيْفَ كَانَ عَذَابَ الظَّالِمِينَ) أي: فانظر يا محمد بعين قلبك: كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم، وردّوا على رسوله نصيحته، ألم نهلكهم فَنَوَّرْتُ ديارهم وأموالهم أوليائنا، ونحوّلهم ما كان لهم من جنات وعيون، وكنوز ومقام كريم، بعد أن كانوا مستضعفين، نُقِّلَ أبناؤهم، وتُسَحِّيا نساؤهم، فإنّا كذاك، بك وبمن آمن بك وصدّقك فاعلون، مخوّلوك وإياهم ديار من كذبك، وردّ عليك ما أتيتهم به من الحقّ وأموالهم، ومهلكوهم قتلاً بالسيف، سنّة الله في الذين خلّوا من قبل. [4]

❖ المبحث التاسع: طغيان المال في قصة قارون، وإهلاك الله سبحانه وتعالى - له.

قال تعالى: (إِنْ قُرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا فِيهِمْ وَعِثَّةَ غَنَمٍ مِّنَ الْكُنُوزِ مِمَّا إِنَّمَا فَتَاتِهِمْ لَنَنْوَأَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ٧٦ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) سورة القصص: 76-77.

بعد أن انتهت قصة موسى-عليه السلام- مع فرعون، وشاهدنا كيف كان طغيان السلطة ظاهراً فيها، وكيف أنه لم تنتفع هذه القوة من فرعون شيئاً، وبين الله لنا الميزان الحقيقي للقوى، وأن قوة الإيمان هي الغالبة، وأن الله ناصر رسله وأوليائه، ينتقل بنا المشهد القرآني، إلى صورة أخرى من صور الطغيان، إنه طغيان المال، من خلال قصة قارون، فهلم لنأمل ما قصّه الله-تعالى- لنا فيها ملتجئين منها الفوائد والعبر: يقول المولى -سبحانه وتعالى: (إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَعَاتَيْنَهُمُ الْمُنَى مِمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) سورة القصص:76.

يخبر المولى - سبحانه وتعالى- أنَّ قارون كان من قوم موسى-عليه السلام-، أي ابن عمّه، ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه، فوافق كما نافق السامري، وخرج عن طاعة موسى-عليه السلام-(فَبَغَى عَلَيْهِمْ) أي: جاوز الحد في التجبر، والتكبر عليهم، وخرج عن طاعة موسى-عليه السلام-، وكفر بالله، قال الضحاك: بغيه على بني إسرائيل: استخفافه بهم؛ لكثرة ماله وولده، وقال قتادة: بغيه بنسبته ما آتاه الله من المال إلى نفسه، لعلمه وحيلته. وقيل: كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل، فتعدى عليهم وظلمهم، وقيل: غير ذلك. [19]

(وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ) أي: الأموال المدخرة، فهو مجاز بجعل المدخر كالمدفون إن كان الكنز مخصوصاً به، وقيل: أنه سميت أمواله كنوزاً؛ لأنها لم تؤد منها الزكاة، وقد أمره موسى -عليه السلام- بأدائها فأبى وهو من أسباب عداوته إياه، وقيل:

الكنوز هنا الأموال المدفونة، وكان كما روي عن عطاء قد أظفره الله تعالى بكنز عظيم من كنوز يوسف-عليه السلام.

[21]

(مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ) أي: حتى أن مفاتيح خزائن أمواله لتثقل الجماعة القوية عن حملها، هذه المفاتيح، فما ظنك بالخزائن؟ (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ) ناصحين له محذرين له عن الطغيان: (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) أي: لا تفرح بهذه الدنيا العظيمة، وتفتخر بها، وتلهيك عن الآخرة، فإن الله لا يحب الفرحين بها، المنكبين على محبتها. [13]

(وَأَتَّبِعْ فِيمَا عَلَّمَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ) سورة القصص: 77.

أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق، ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، (وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أي: لا نأمر أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً، بل أنفق لأخرك، واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بأخرك، (وَأَحْسِنَ) إلى عباد الله (كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) بهذه الأموال، (وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ) بالتكبر والعمل بمعاصي الله تعالى- والاشتغال بالنعم عن المنعم، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ) بل يعاقبهم على ذلك، أشد العقوبة. [13]

• تكبر قارون وتعالیه.

قال تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَو لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) سورة القصص: 78.

اشتد طغيان قارون وتكبره، وقال لقومه الذين وعظوه: إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله تعالى- مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم، هكذا تكبر وتجبر، فلم ينسب النعمة التي أنعم الله تعالى- بها عليه إلى المنعم -سبحانه وتعالى-، وهذه من أعظم الآفات المهلكة للإنسان، أو لم يعلم قارون حين زعم هذا الزعم الباطل، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشا، وأكثر جمعا للأموال، ولو كان الله-سبحانه- يؤتي الأموال من يؤتيه؛ لفضل فيه وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا؛ لأن من كان الله عنه راضيا، فمحال أن يهلكه الله تعالى-، وهو عنه راضٍ، وإنما يهلك من كان عليه ساءلا. [4]

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْزَمُنَا مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٧٩ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ عَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلَهُ إِلَّا الصَّابِرُونَ) سورة القصص: 79-80.

(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ) أي: على بني إسرائيل فيما رآه زينة من متاع الحياة الدنيا؛ من الثياب والدواب والتجمل في يوم عيد (فِي رِيْنَتِهِ) أي: مع زينته، كان خرج في سبعين ألفاً من تبعه، عليهم المعصفرات. [7] (3)، في منظر يسلب ألباب أهل الدنيا والشهوات، فتناولت رقابهم طمعاً في هذا النعيم، و(قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لُتِلَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)، هكذا غرَّتهم الدنيا وزخرفها، وعلى الطرف المقابل كان هنالك المؤمنون بالدار الآخرة، العارفون بحقيقة الدنيا الزائلة، فاختلقت نظرهم، واختلف قولهم: (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلْتَمِسُ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ ءَامِنٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْآصِرُونَ) سورة القصص:80.

• نهاية قارون، وهلاك الظالمين.

قال تعالى: (فَحَسَبْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) سورة القصص:81.

لما ذكر تعالى- اختيال قارون في زينته، وفخره على قومه، وبغيه عليهم، عَقَّبَ ذلك بأنَّه خسف به وبداره الأرض، كما ثبت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخِيَلَاءِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ". (4)

وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله-عليه السلام-، واختلف في سببه، فعن ابن عباس والسدي: أنَّ قارون أعطى امرأة بغياً مآلاً على أن تبته موسى-عليه السلام- بحضرة المَلَأ من بني إسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله-تعالى-، فتقول يا موسى إنَّك فعلت بي كذا وكذا، فلما قالت ذلك في المَلَأ لموسى-عليه السلام- أرعد من الفرق، وأقبل عليها بعد ما صلى ركعتين، ثم قال: أنشدك بالله الذي فَرَّقَ البحر وأنجاكم من فرعون، وفعل كذا وكذا لما أخبرتني بالذي حملك على ما قلت؟ فقالت: أما إذ نشدنتني فإن قارون أعطاني كذا وكذا على أن أقول ذلك لك، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه، فعند ذلك خر موسى لله-عز وجل- ساجداً، وسأل الله في قارون، فأوحى الله-تعالى- إليه أن قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى-عليه السلام- الأرض أن تبتلع وداره، فكان ذلك. [6]

وكان الله سبحانه وتعالى- في هذا القصَّة، يخوِّف أهل مكة، ويتوَّعدهم ببغيهم على الله سبحانه- وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم- بعذاب ينزل بهم؛ كما نزل بقارون ببغيه على موسى وقومه، أي: لم تنفعه قرابته من موسى-عليه السلام- ولا صلته به؛ لما ذكر أنَّه كان ابن عمه وكان خنته: زوج أخته مريم؛ فعلى ذلك يقول لا تنفعكم القرابة التي بينكم وبين رسول

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، ح(3485)، (177/4)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب باب تحرير التبختر في المشي مع إعجابه بتيابه، ح(2088)، (1653/3).

الله، ولا اتصالك به من عذاب الله ومقته في الدنيا، إذا بغيت عليه وتركتم اتباعه؛ كما لم تنفع القرابة التي بين قارون وموسى-عليه السلام- من عذاب الله ومقته في الدنيا إذا بغى عليه.[22]

❖ الفصل الثاني: تحقق وعود الرحمن لأهل الإيمان:

بعد تلك المقدمات التي فصلت لنا جوانب من آيات سورة القصص العظيمة، والتي ألقت بظلالها على جوانب من قصة موسى - عليه السلام -، وما رأيناه من الوعود المتتالية لعباد الله المؤمنين، التي كانت تقذف في قلب المؤمن الطمأنينة والسكينة، وتثبت على الإيمان، وتصبره على المصائب والمحن، هانحن في هذا الفصل نبين كيف حقق الله لعباده المؤمنين وعودته، وكيف انجلت ظلمة الكفر والطغيان، وكيف صدق الله تعالى- لعباده المؤمنين وعده، إنه وعد الله-سبحانه-، الوعد الحق، الذي لا يمكن أن يتخلف (وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا) سورة النساء:122.

❖ المبحث الأول: تحقق وعد الله لموسى.

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ) سورة القصص:7.

بيننا في الفصل السابق كيف كانت أم موسى، خائفة من بطش فرعون وقومه، تخاف من ترصدهم، فقد ولد موسى في سنة القتل، وعيون فرعون منتشرة في كل مكان، تبحث عن أي مولود لبني إسرائيل، في هذه الحال وأم موسى ترى أنها لا حول لها ولا قوة إلا بخالقها ومولاها، يأتيها الوحي والإلهام من ربها (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) أمر جليل، وبلاء عظيم، هي خائفة على ابنها من الهلاك على يد فرعون، فتأمر بإلقائه في اليم، حيث الغرق والهلاك، ولكن تتجلى لنا هنا قوة إيمان أم موسى في أعلى رتبها، يا الله! يا له من إيمان، يا له من يقين، إنها تعلم أن هذا الأمر من الله - عز وجل - الذي ابتدأها بالنعم، ورزقها بهذا المولود، ومما زادها يقينا وثباتا، ما بشرها الله-سبحانه- به وما وعدها به:

(إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)

إنه وعد الله - عز وجل -، إن الله لا يخلف الميعاد، ومن أصدق من الله حديثاً.

استسلمت لأمر ربها، صابرة محتسبة، موقنة بوعد الله، مصدقة به، فألقته في النيل، ألقت بفلذة كبدها في البحر، وفؤادها بقطر دمًا على فراقه، لكن جذوة الإيمان كانت أعلى، فاستجابت لأمر ربها بلا تردد أو تلكؤ، إنه الإيمان إذا خالطت بشائسته القلوب.

❖ كيف تحقق وعد الله لأم موسى:

وعد الله أم موسى بأمرين:

الأول: أن يرجع ابنها إليها: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ)

الثاني: أن يكون نبياً ورسولاً: (وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

○ تحقق الوعد الأول لأم موسى:

حينما ألفت أم موسى ابنها موسى-عليه السلام- في اليم، هيا الله الأسباب لحفظه، حتى التقطه آل فرعون، كما بيناه سابقاً، وشاء الله أن يتربى في بيت عدوه فرعون (لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا)، ومن الأسباب التي هياها المولى-سبحانه-، أن حرم الله المراضع على موسى-عليه السلام- فلم يقبل أن يرتضع من أي امرأة، ثم أشارت أخت موسى-عليه السلام- عليهم بامرأة سيقبل أن يرتضع منها، وهي أم موسى، كما قال تعالى:

(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ) سورة القصص:12.

وهنا يتحقق وعد الله، وينكشف الغم والحزن عن أم موسى، فتقرر عيناها به، قال تعالى:

(فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) سورة القصص:13.

(فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ) كما وعدناها بذلك، (كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ) بحيث إنه تربى عندها على وجه تكون فيه أمانة مطمئنة، تفرح به، وتأخذ الأجرة الكثيرة على ذلك، (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) فأريناها بعض ما وعدناها به عياناً، ليطمئن بذلك قلبها، ويزداد إيمانها، ولتعلم أنه سيحصل وعد الله في حفظه ورسالته، (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فإذا رأوا السبب متشوشاً، شوش ذلك إيمانهم، لعدم علمهم الكامل، أنَّ الله تعالى- يجعل المحن الشاقة والعقبات الشاقة، بين يدي الأمور العالية والمطالب الفاضلة، فاستمر موسى-عليه السلام- عند آل فرعون، يتربى في سلطانهم، ويركب مراكبهم، ويلبس ملابسهم، وأمه بذلك مطمئنة، قد استقر أنها أمه من الرضاع، ولم يُستنكر ملازمته إياها وحنوها عليه.

وتأمل هذا اللطف من الله تعالى-، وصيانة نبيه موسى من الكذب في منطقه، وتيسير الأمر، الذي صار به التعلق بينه وبينها، الذي بان للناس أنه هو الرضاع، الذي بسببه يسميها أمًا، فكان الكلام الكثير منه ومن غيره في ذلك كله، صدقا وحقا. [13]

○ تحقق الوعد الثاني لأم موسى.

كان الوعد الثاني لأم موسى: أن يكون موسى - عليه السلام- نبياً ورسولاً، قال تعالى: (وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ).

تتابعت رعاية الله-سبحانه وتعالى- لموسى-عليه السلام-، ومهد سبحانه بالأسباب المقدمة لإرساله إلى فرعون نبياً ورسولاً،

من مقتل القبطي، إلى رحلته إلى مدين، إلى عودته إلى مصر، وما حدث أثناء ذلك من الأحداث العظيمة، التي غيرت حياة موسى-عليه السلام-، وانتقلت به إلى مرحلة جديدة، مرحلة الرسالة والنبوة، كما فصلنا ذلك في الفصل السابق، قال الله تعالى: (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارَ الْعَلِيِّ ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٢٩ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يُمُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يُمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ٣١ أَسَلْتُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَكَ بِرُءُفَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ٣٢) سورة القصص: 29-32.

هكذا أرسل الله نبيه موسى-عليه السلام-، بعد أن شرفه بهذا الشرف العظيم: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) سورة النساء: 164. وأيده بالمعجزات البينات، وهكذا تحقق الوعد الثاني لأم موسى، بعد سنوات طويلة، وفي هذا تسلية لكل مؤمن، بأن وعد الله متحقق لا محالة مهما تمادت السنون وطالت، ومهما صالت موجة الكفر والطغيان، فلا بد للحق أن ينتصر.

❖ المبحث الثاني: تحقق وعد الله لموسى-عليه السلام- بشد عضده بأخيه وغلبة فرعون وقومه وهلاكهم.

عندما كلم الله -عز وجل- نبيه موسى -عليه السلام- بالرسالة إلى فرعون وقومه، سأل موسى -عليه السلام- ربه أن يحقق له أموراً، تعينه في طريق دعوته، كما حكى لنا الله -سبحانه وتعالى-: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ٢٦ وَأَخْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢٨ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ٢٩ هَؤُلَاءِ أَخِي ٣٠ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ٣١ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي) سورة طه: 25-32.

وهذا السؤال من موسى-عليه السلام- يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله المرشد للخلق خصوصاً إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان، يحتاج إلى سعة صدر وحلم تام على ما يصيبه من الأذى، ولسان فصيح يتمكن من التعبير به عن ما يريده ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام من ألزم ما يكون؛ لكثرة المراجعات، ولحاجته لتحسين الحق وتزيينه بما يقدر عليه؛ ليحببه إلى النفوس، وإلى تقبيح الباطل وتهجينه؛ لينفر عنه ويحتاج مع ذلك أيضاً أن يتيسر له أمره فيأتي البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن يعامل الناس كلا بحسب حاله، وتام ذلك أن يكون لمن هذه صفته أعوان ووزراء يساعدونه على مطلوبه لأن الأصوات إذا كثرت لا بد أن تؤثر. [13]

❖ كيف تحقق وعد الله لموسى-عليه السلام-

لقد استجاب الله-تعالى- لموسى-عليه السلام- وأعطاه سؤله، فقال الله -عزَّ وجل-: (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى) سورة طه:36، أي: أعطيتك جميع ما طلبت، فسنشرح صدرك، ونيسر أمرك، ونحل عقدة من لسانك يفقهوا قولك، ونشد عضدك بأخيك هارون، وزاده على مارجاه البشارة والتطمين فقال: (وَجَعَلْ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ) سورة القصص:35. فهما لن يذهبا مجردين إلى فرعون الجبار، إنما يذهبان إليه مزودين بسلطان لا يقف له في الأرض سلطان، ولا تتألهما معه كف طاغية ولا جبار: (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا)، وحولكما من سلطان الله-تعالى- سياج، ولكما منه حصن وملاد، ولا تقف البشارة عند هذا الحد، ولكنها الغلبة للحق، الغلبة لآيات الله التي يجابهان بها الطغاة، فإذا هي وحدها السلاح والقوة، وأداة النصر والغلبة، وذلك بسبب آياتنا، وما دلت عليه من الحق، وما أزجت به من باشرها ونظر إليها، فهي التي بها حصل لكما السلطان، واندفع بها عنكم، كيد عدوكم وصارت لكم أبلغ من الجنود، أولى العدِّ والعدِّ. [13]

(أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ)، هاهي قدرة الله تتجلى سافرة على مسرح الحوادث، وتؤدي دورها مكشوفاً بلا ستار من قوى الأرض، لتكون الغلبة بغير الأسباب التي تعارف عليها الناس، في دنيا الناس، وليقوم في النفوس ميزان جديد للقوى والقيم، إيمان وثقة بالله، وما بعد ذلك فعلى الله-سبحانه-، وينتهي هذا المشهد الرائع الجليل ويطوى الزمان ويطوى المكان، فإذا موسى وهارون في مواجهة فرعون، بآيات الله البينّات وإذا الحوار بين الهدى والضلال وإذا النهاية الحاسمة في هذه الدنيا بالغرق، وفي الحياة الأخرى باللعة، في سرعة واختصار.

وهكذا تحقق وعد الله لموسى -عليه السلام-، وقد رجع إلى بلده، بعد ما كان شريداً، فلم تزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه، الغلبة والظهور، وانتصر الحق، وباء الطغاة الكافرون بالويل والثبور والخسران في الدنيا والآخرة. [13]، قال تعالى: (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ٤٠ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ٤٢) سورة القصص:40-42.

❖ المبحث الثالث: تحقق وعد الله لبني إسرائيل والتمكين لهم.

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ٥ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهُمَّنْ وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ٦) سورة القصص:5-6.

هذا وعد الله لبني إسرائيل، فقد ذكر -سبحانه وتعالى- أنه يريد أن يمتن على المستضعفين، وهم بنو إسرائيل الذين سامهم فرعون سوء العذاب، بالخلاص من هذا الاستضعاف والظلم، وليس هذا فحسب بل وعدهم الله -عز وجل- بأن: يجعلهم أئمة، بهم يهتدى الخلق، ومنهم يتعلم الناس سلوك طريق الصدق، وزيادة على ذلك: نبارك في أعمارهم، فيصرون وارثين لأعمار من بناوئهم، وتصير إليهم مساكنهم ومنازلهم هداة وأعلام، وسادة وقادة بهم يقتدى وبنورهم يهتدى. [14]

ووعدهم بأن يمكن ويوطئ لهم في أرض الشام ومصر، وسيري الله فرعون وهامان وجنودهما، من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه، ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم. [4]

❖ كيف تحقق وعد الله لبني إسرائيل:

قال تعالى: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَثَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) سورة الأعراف: 137.

وعد الله - سبحانه وتعالى - لا يمكن أن يتخلف، ولن ينفع حذر من قدر؛ لأنَّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر، ولكل أجل كتاب؛ فبعد سنوات الذل والاستضعاف التي لاقاها بنو إسرائيل من فرعون وقومه، تنقشع الظلمات، وتتفرج الكربات، وهامو وعد الله -سبحانه وتعالى- يتحقق لبني إسرائيل، في أعظم صورة، وأبهى حلة، وانظر كيف لطف الله -سبحانه- بهم، فقال: (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَثَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) سورة الأعراف: 137.

ثم انظر إلى حال فرعون وقومه، فقد أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسى -عليه السلام-، فما نفعه ذلك الحذر مع قدر الملك العظيم، الذي لا يخالف أمره القديري، بل نفذ حكمه وجرى قلمه في القدم بأن يكون إهلاك فرعون على يديه، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده، وقتلت بسببه ألوفاً من الولدان إنما منشؤه ومرباه على فراشك، وفي دارك، وغذاؤه من طعامك، وأنت تربيته وتتفاده، وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه؛ لتعلم أن رب السموات العلا هو القادر الغالب العظيم، العزيز القوي الشديد المحال، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، إنه على كل شيء قدير. [14، 6].

فكل هذا قد أراده الله، وإذا أراد أمراً سهّل أسبابه، ونهج طريقه، وهذا الأمر كذلك، فإنه قدر وأجرى من الأسباب -التي لم يشعر بها لا أولياؤه ولا أعداؤه- ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود، فأوجد الله رسوله موسى -عليه السلام-، الذي جعل استنقاذ هذا الشعب الإسرائيلي على يديه وبسببه، وكان في وقت تلك المخافة العظيمة، التي يذبحون بها الأبناء، ثم توالى الأحداث، وموسى تحت رعاية الله -سبحانه- وتدبيره، إلى أن بعثه الله نبياً وسوياً إلى فرعون، حتى كان آخر أمر

فرعون هلاكه على يد موسى -عليه السلام- (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) سورة الأعراف: 137.

❖ المبحث الرابع: تحقق وعد الله لنبيه-صلى الله عليه وسلم- بالعودة إلى مكة.

بيناً من قبل الحال التي كان عليها المسلمون بمكة قبل نزول سورة القصص، حيث كانوا أمة مستضعفة، لاقوا أصناف الأذى من قريش ومن حالفها، فنزلت سورة القصص، تسلياً للمؤمنين عما أصابهم، وبياناً لهم أن الغلبة للحق وأهله، وأن الله ناصر رسله، ومتضمنة وعداً من الله -سبحانه- لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- حين أخرج من مكة مهاجراً إلى المدينة، يقطع قلبه على فراق موطنه، فنزل عليه جبريل وهو بالجحفة متوجهاً من مكة إلى المدينة، فقال: أتشتاق يا محمد إلى بلدك التي ولدت بها، فقال: نعم، فقال: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) سورة القصص: 85. هذا هو وعد الله لنبيه فقد وعده بالعودة إلى مكة فاتحاً منتصراً، فقد روي عن عكرمة عن ابن عباس قال: "يعني إلى مكة، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- حين خرج من مكة إلى المدينة اغتم لمفارقتة مكة؛ لأنها مولده وموطنه ومنشأه وبها عشيرته، واستوحش فأخبره الله -تعالى- في طريقه أنه سيرده إلى مكة وبشره بالظهور والغلبة". [23].

وهكذا شاءت حكمة الله أن ينزل على عبده هذا الوعد الأكيد في ذلك الطرف المكروب، ليمضي -صلى الله عليه وسلم- في طريقه آمناً واثقاً، مطمئناً إلى وعد الله الذي يعلم صدقه، ولا يستريب لحظة فيه، وإنَّ وعد الله قائم لكل السالكين في الطريق، وإنَّه ما من أحد يؤذى في سبيل الله، فيصبر ويستيقن إلا نصره الله في وجه الطغيان في النهاية، ولقد رد موسى من قبل إلى الأرض التي خرج منها هارباً مطار رده فأنقذ به المستضعفين من قومه، ودمر به فرعون وملأه، وكانت العقوبة للمهتدين، فامض إذن في طريقك، ودع أمر الحكم فيما بينك وبين قومك الله -سبحانه- الذي فرض عليك القرآن.

❖ كيف تحقق وعد الله لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-؟.

قد أنجز الله مواعده لرسوله -صلى الله عليه وسلم- فإنه تعالى مكنه في البلاد، وحكمه في نواصي مخالفه من العباد، وفتح له مكة، وأظهره على من كذبه من قومه وعاداه وناوأه، كما قال الله تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) سورة المجادلة: 21. وقال: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ) سورة إبراهيم: 51. وقال تعالى إخباراً عن رسوله: (فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۚ ۛ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ) سورة إبراهيم: 13-14. وقد فعل الله -سبحانه- ذلك بهذه الأمة المحمدية، وله الحمد والمنة أولاً وآخرها وظاهراً وباطناً، فإنه -صلى الله عليه وسلم- لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكما لها، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إِنَّ اللَّهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا

وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا"⁽⁵⁾، فهذا نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله فنسأل الله الإيمان به وبرسوله، والقيام بشكره على الوجه الذي يليق بجلاله. [6]

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث أشكر المولى سبحانه وتعالى على ما يسر وأعان وأسأله أن يتقبل هذا العمل مني، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

لك الحمد يا رب على كل نعمة ومن أعظم النعماء قلبي لك الحمد

ومن أهم نتائج هذا البحث:

- أهمية الالتفات إلى التفسير الموضوعي، وماله من أثر في فهم المعاني، من منظور قرآني.
- أهمية إبراز تحقق وعود الرحمن لأهل الإيمان؛ لما له من الأثر العظيم في دفع الأمة الإسلامية، للخروج من دائرة اليأس والقنوط، إلى التفاؤل والعمل.
- أن الله تعالى إذا أراد أمراً هياً أسبابه، وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج، لا دفعة واحدة.
- أن الأمة المستضعفة، ولو بلغت في الضعف ما بلغت، لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقه، ولا الإيأس من ارتقائها إلى أعلى الأمور، خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله أمة بني إسرائيل، الأمة الضعيفة، من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض، وملكهم بلادهم.
- أن الله يقدر على عبده بعض المشاق، لينيله سروراً أعظم من ذلك، أو يدفع عنه شراً أكثر منه، كما قدر على أم موسى ذلك الحزن الشديد، والهم البليغ، الذي هو وسيلة إلى أن يصل إليها ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسروراً.
- أن العبد ولو عرف أن القضاء والقدر ووعد الله نافذ لا بد منه، فإنه لا يهمل فعل الأسباب التي أمر بها، ولا يكون ذلك منافياً لإيمانه بخبر الله، فإن الله قد وعد أم موسى أن يرده عليها، ومع ذلك، اجتهدت على رده، وأرسلت أخته لتقصه وتطلبه.

وَطَنٌ بِهِ خَيْرٌ وَسَامِحٌ نَسِيحٌ. . . بِالْأَغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كَانَ هُلْهَلًا

وَسَلَّمَ لِإِحْدَى الْحُسْنَيْنِ إِصَابَةً. . . وَالْأُخْرَى اجْتِهَادُ رَامٍ صَوْبًا فَأَمَحَلَا

وَإِنْ كَانَ خَرَقٌ فَادْرِكُهُ بِفَضْلَةٍ. . . مِنَ الْجِلْمِ وَلْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مَقُولًا. [24]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح(2889).

قائمة المصادر والمراجع:

- [1] ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد. الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي؛ الطبعة الأولى، 1997م. (1/ 151).
- [2] مكّي بن أبي طالب، حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القرطبي. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه. المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي. (8/ 5482).
- [3] الشريف الرضي. تلخيص البيان في مجازات القرآن. بيروت: دار الأضواء، (2/ 303).
- [4] ابن جرير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي. جامع البيان في تأويل القرآن. المحقق: أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة؛ الطبعة الأولى: 2000 م. (2/ 44)، (19/ 541)، (19/ 541)، (19/ 574)، (18/ 154)، (19/ 580)، (19/ 582)، (19/ 626).
- [5] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي. المحقق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي؛ الطبعة الأولى: 1420 هـ. (3/ 521)، (3/ 522)، (3/ 533)، (3/ 534).
- [6] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري. البداية والنهاية. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع؛ الطبعة الثانية 1999 م. (6/ 71)، (6/ 221)، (6/ 222)، (6/ 222)، (6/ 205)، (6/ 234)، (6/ 213)، (6/ 230)، (6/ 231).
- [7] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية؛ الطبعة الثانية 1964 م. (13/ 250)، (13/ 250)، (13/ 287)، (13/ 317).
- [8] ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله. التسهيل لعلوم التنزيل = تفسير ابن جزي. المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي. بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ الطبعة الأولى: 1416 هـ. (2/ 109).
- [9] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب = تفسير الرازي. بيروت: دار إحياء التراث العربي؛ الطبعة الثالثة 1420 هـ. (24/ 579).
- [10] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية؛ الطبعة الأولى: 1422 هـ. (4/ 277)، (4/ 278)، (4/ 278).
- [11] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد. ينظر: تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل. المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي. بيروت: دار إحياء التراث العربي؛ الطبعة الأولى 1418 هـ. (4/ 172)، (4/ 175).
- [12] أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف. البحر المحيط في التفسير. المحقق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر، (8/ 290).
- [13] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي. المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2000 م. (613)، (614)، (616)، (623)، (612)، (504)، (612).
- [14] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. لطائف الإشارات = تفسير القشيري. المحقق: إبراهيم البسيوني. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ الطبعة الثالثة. (3/ 57)، (3/ 54).
- [15] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. بيروت: دار الكتب العلمية؛ 1415 هـ. (5/ 477).
- [16] الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن. أشرف على إخرجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه. تحقيق: عدد من الباحثين. (7/ 244).
- [17] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر؛ 1984 هـ. (20/ 106).
- [18] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي. الوسيط في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس. بيروت: دار الكتب العلمية؛ الطبعة الأولى 1994 م. (3/ 396).
- [19] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. بيروت: دار الفكر. (4/ 193)، (4/ 214).
- [20] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير. المحقق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار الكتاب العربي. (3/ 384).

- [21] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. المحقق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية. (316/10).
- [22] الماتردي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة. المحقق: د. مجدي باسلوم. بيروت: دار الكتب العلمية؛ الطبعة: الأولى 2005 م. (8/195).
- [23] السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم. تفسير السمرقندي = بحر العلوم، تحقيق: د.محمود مطرجي. بيروت: دار الفكر. (2/622).
- [24] الشاطبي، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني. متن الشاطبية. المحقق: محمد تميم الزعبي. الناشر: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية؛ الطبعة: الرابعة؛ 2005 م. (7).